الأمثال الشعبية في الزواج والطلاق
قراءة دلالية (قرى الأقصر أنموذجاً)

د. ليلة يوسف حميد

كلية الآداب بقنا – قسم اللغة العربية

مجلة كليـة الآداب بقنـــــا ـ العـــدد (٤٤) ـ سنة ٢٠١٥م

تقديم:

تقع الأمثال الشعبية ضمن منظومة التراث الشعبي الشفاهي الذي يمثل خلاصة التجارب الإنسانية، ويضم إلى جانب الأمثال؛ الأغاني الشعبية في الأعراس والمناسبات الاجتماعية وفي وقت العمل لإثارة الهمم والحماس، وأغاني الجدات والأمهات للأطفال في المهد والطفولة، والمراثي الشعبية (العدودة) إلى غير ذلك من أنواع الفنون والأقوال الشفاهية التي تتوارثها الأجيال والتي تعكس الثقافة الشعبية التي تُميِّز بين الشعوب وتمنح كلا منها خصوصيته الإنسانية والشعبية.

الأمثال الشعبية من أبرز مكونات المنظومة الثقافية الشعبية، بما تحمل في طياتها من انعكاسات عادات الناس وتقاليدهم ومواقفهم اليومية ومعتقداتهم وثقافتهم الخاصة عليها، كما تعكس الأمثال اتجاهات المجتمع وقيمه ومبادئه السائدة. ولا تخلو حياة أي منا من الأمثال الشعبية، قولا أو سماعًا، وكثير من الناس ممن لديهم ذاكرة حافظة وسرعة بديهة في استدعاء المثل وتوظيفه في المواقف الاتصالية المختلفة تكثر في كلامهم الأمثال، مما يُعد سمة خطابية في محادثاتهم، يشتهرون بها بين الناس. وعلى الرغم أن الأمثال حكم شعبية شفاهية مجهولة القائل الأصلي غالبًا، إلا أنها واسعة الانتشار في أحاديث العامة والخاصة ولعل سبب ذلك جملة من الخصائص التي تتمتع بها الأمثال سيأتي تفصيل الحديث فيها، علاوة على ما يتمتع به التواصل الملفوظ بين الناس من السمات والأعراف التي تميز بين المجموعات البشرية المختلفة.

للأمثال قيمة عظيمة في حياة الشعوب والأمم؛ فهي تُسهم في بناء الوعي وفي التكوين الوجداني وتشكيل الشخصية الاجتماعية بما تحمله من قيم وتقاليد وطبائع وأخلاق. علاوة على أنها انعكاس للسياق الاجتماعي العام، فهي تحمل مظاهر المجتمع وثقافة أفراده وطبيعته، لذلك كان الجاحظ دقيقا في نقل النصوص مراعيا ضوابط شروط في التعامل مع النصوص من خلال قوله:" وهذا كتاب لا أغرك منه ولا أستر عنك عيبه. لأنه لا يجوز أن يكمل لما تريده ولا يجوز أن يوفى حقه كما ينبغي له: لأن هاهنا أحاديث كثيرة متى أطلعنا منها حرفاً عرف أصحابها وإن لم نسمهم ولم

نرد ذلك بهم.... وأحاديث أخر ليس لها شهرة ولو شهرت لما كان فيها دليل على أربابها ولا هي مفيدة أصحابها. وليس يتوفر أبداً حسنها إلا بأن تعرف أهلها وحتى تتصل بمستحقها وبمعادنها واللائقين بها..[1]

وقد حظي المثل عند الناس بثقة تامة، فهو ملخص مواقف سابقة وخبرة غابرة مرت بها الجماعة، فصدقوه لأنه يسترشد في حل مشكلة جديدة بخبرة متراكمة مكتسبة من مشكلات قديمة انتهت إلى درس مستفاد وعظة لا تنسى.

١ – الجاحظ: البخلاء ص٧.

المبحث الأول
الإطـــار النظـــري للبحـــث

موضوع الدراسة:

نظرا لما تزخر به الأمثال من خصائص لهجية وسمات دلالية خاصة، فقد خصصت لها هذا البحث لدراسة للمثل الشعبي من منظور اللسانيات الاجتماعية والنفسية لاستجلاء الخصائص الدلالية والتداولية المميزة لهذه البنيات اللغوية الخاصة التي توظف في المواقف الاتصالية المختلفة محملة بالمعاني والدلالات الكثيفة بعبارات موجزة مجهولة المورد معلومة المضرب. واكتفيت في الجانب التطبيقي بالأمثال التي تناولت في معناها مجالًا دلاليًا واحدًا وهو (الزواج والطلاق) والعلاقات الاجتماعية المترتبة عليهما.

أسباب اختيار الموضوع:

- ما تتمتع به الأمثال من الذيوع والانتشار على ألسنة المتكلمين في السياقات والمواقف الاجتماعية المختلفة.
- ما تتميز به من خصوصية في البنية اللغوية والدلالية.
- ما توليه اللسانيات الحديثة بآفاقها الرحبة من عناية بالنشاط اللهجي الحي وباللغة باعتبارها أداة تواصل يومي بين الناس في مختلف أوجه نشاطاتهم الحياتية، مما أضاف للدرس اللغوي الحديث والمعاصر صفة الحيوية والتجدد وكسر الجمود الذي أحاط به في شكله التقليدي المتوارث، فعلى الرغم من إدراك علماء العربية القدماء للدور الاجتماعي للغة، فإن الدرس اللساني المبني على أسس اجتماعية لم تتضح معالمه كإحدى نظريات الدرس اللغوي إلا في الدراسات اللغوية المعاصرة.
- كثير من يستخدمون الأمثال هم من كبار السن الأميين، الذين لم يتخلوا عن الخصائص اللهجية المميزة، كما يحفظون كثيرا من الأمثال القديمة التي لا يعلمها كثير من الشباب وهي في طريقها إلى الانقراض بوفاة الكثير منهم.
- الأمثال وغيرها من الموروث الشفاهي تمثل تراثًا لغويًّا مهمًا ينبغي المحافظة عليه.

- **عناية المستشرقين بجمع الأمثال العربية ودراستها- في العصر الحديث- منذ وقت مبكر وحتى قبل عناية أبناء العربية المحدثين أنفسهم بجمعها ودراستها، بالرغم من العناية الكبيرة بالأمثال العربية وكثرة التأليف فيها لدى علماء العربية القدامى(*)**

ومن أمثلة عناية المستشرقين بالأمثال الشعبية:

- **السويدي كارلو لاندبرج (١٨٤٨-١٩٢٤م) وله كتاب فيه كثير من أمثال أهل بر الشام بعنوان:" الأمثال والأقوال الشائعة في ولاية سوريا. قضاء صيدا" حصل به على درجة الدكتوراه وطبع في لايدن بالفرنسية ١٨٨٣م، وله كتاب (دراسات في لهجات جنوب الجزيرة العربية)(٢)**
- **الهولندي سنوك هورخرونيه (١٨٥٧-١٩٣٩م) وله كتاب تضمن أمثال أهل مكة طبعه باللغة الألمانية ١٨٨٦م بعنوان: (مكة في القرن التاسع عشر) والكتاب من جزأين، ويتناول التاريخ السياسي والأوضاع الاجتماعية لمكة المكرمة في الفترة التي**

---

* - ومن أهم الكتب والمخطوطات التي تناولت موضوع الأمثال في التراث العربي ما يأتي: مجمع الأمثال: الميداني، والتمثيل والمحاضرة: لأبي منصور الثعالبي، والمستقصى في أمثال العرب: للزمخشري، وجمهرة الأمثال: لأبي هلال العسكري، الأمثال العربية والعصر الجاهلي: محمد توفيق أبو علي، ومجموعة تشتمل على خمسة كتب أولها: شرح الأمثال المختلفة: مصطفى سروري وآخرون، وفرائد الخرائد في الأمثال، ومعجم في الأمثال والحكم النثرية والشعرية: ليعقوب يوسف بن طاهر الخويي، ومجمع الأمثال: للنجم الكرماني حسين بن أبو بكر، وزهر الأكم في الأمثال والحكم: لليوسي، وألفية الأمثال: ليحيى بن قاسم العلوي، والأمثال: لمارج السدوسي، والأمثال: لابن القيم الجوزية، والأمثال في القرآن الكريم: لابن القيم الجوزية، وكتاب الأمثال في الحديث النبوي: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، وجمهرة الأمثال: لأبي هلال العسكري، ومجمع الأمثال: لأبي الفضل النيسابوري، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد البكري، والأمثال: لأبي عبيد ابن سلام، والأمثال من الكتاب والسنة: لأبي عبد الله محمد بن علي الترمذي، وفرائد اللآل في مجمع الأمثال: لإبراهيم علي الأحدب الطرابلسي الحنفي، وكتاب جمهرة الأمثال: لحسن بن عبد الله بن سهل العسكري النحوي، وغيرها من كتب الأمثال في تراث العربية.

٢ - عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٥٠٨.

أقام بها[٣]، كما يحتوي على دراسة للأمثال والحكم والأقوال التي قام بجمعها خلال إقامته في الحجاز سنة١٨٨٤م، ويعد من الدراسات الجيدة للهجات في منطقة الحجاز بعامة وفي مكة المكرمة على نحو خاص.

- **السويسري بوركهارت (١٧٨٤-١٨١٧م) وله كتاب بالعربية اسمه: (أمثال عربية مع ترجمتها إلى الإنجليزية) وله كتاب (رحلات في شبه الجزيرة العربية) وكتاب (تاريخ الوهابيين) وكتاب (ملاحظات على البدو الوهابيين)[٤]**
- **وكان اختيار موضوع (الزواج والطلاق) لأنه من الموضوعات الاجتماعية التي تناولتها الأمثال الشعبية بكثرة، فهي ترتبط ارتباطًا كبيرًا بحياة الناس، كما أنها تعكس نمط الثقافة السائد والعادات والتقاليد وطريقة التفكير، علاوة على ما ينتج عنه من علاقات اجتماعية متداخلة.**
- **وكان اختياري لعينة من قرى الأقصر[*] من معايشتي للناس في هذا الإقليم الذي يمتد جغرافيًّا من محافظة قنا شمالًا إلى أسوان جنوبا، شرق النيل وغربه حيث ظهر لي قرب لهجتهم من الفصحى واعتزازهم بها، وقد أشارت بعض الدراسات التي تناولت اللهجات في هذا الإقليم إلى تميزها وأصالتها وقربها من الفصحى ومن لهجات بعض القبائل العربية التي نزحت مع الفتح الإسلامي لمصر مثل قبائل: تميم وقيس وأسد وربيعة وبهراء التي ينتهي نسبها إلى قضاعة[٥]**

الهدف من الدراسة:

---

٣ - انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام. قاموس تراجم ٢٢١/٥، عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين ص٣٥٣-٣٥٥.

٤ - خير الدين الزركلي: الأعلام. قاموس تراجم ٢٦٤/٨.

*- منها أرمنت الحيط بتوابعها من العِزَب مثل: الغرز، وأبو دغار، وأبو قليعي، والصف، وعزبة جاد، وغيرها، وقرى: الرزيقات قبلي، والرزيقات بحري، والمحاميد، وأرمنت الوابورات، والديمقراط، والمريس، وغيرها.

٥ - انظر- على سبيل المثال- رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان: لهجة أرمنت الحيط. دراسة صوتية ودلالية (جامعة جنوب الوادي- كلية الآداب - قسم اللغة العربية، ٢٠١٠م) ص٢٢٩-٢٣٦.

- التعرف على المعاني والدلالات في الأمثال الشعبية في هذا الموضوع فهي تمثل نشاطًا لغويًّا حيًّا يتفاعل مع كل الظواهر الاجتماعية الأخرى يؤثر فيها ويتأثر بها.
- معرفة ألفاظ العلاقات الاجتماعية التي وردت في الأمثال وبيان معانيها وعلاقتها بالموضوع الذي تتناوله الأمثال.
- توضيح دور الأفعال الكلامية في توجيه دلالات الأمثال.
- معرفة إلى أي مدى تعكس الأمثال الشعبية السمات الاجتماعية والنفسية واللهجية للمجتمع الذي تُستعمل فيه.

عينة الدراسة وطريقة الجمع:

تحتوي الدراسة على (خمسة وسبعين) مثلًا تتناول جميعها موضوع (الزواج والطلاق) موزعة توزيعًا موضوعيًّا على مجالات فرعية بحسب الموضوعات التي تتناولها، والتي تندرج جميعها ضمن الموضوع الرئيس، ورتبت الأمثال داخل المجال الدلالي الواحد ترتيبًا هجائيًّا بحسب الحرف الأول منها.

أما طريقة الجمع فمنذ حصولي على درجة الدكتوراه عام٢٠٠١م في علم اللغة، وفي نفسي رغبة أكيدة لجمع الأمثال وغيرها من نماذج التراث اللهجي الشفاهي الذي شارف على الاندثار، فقمت بجمعها وتدوينها وتسجيلها من خلال مقابلات شخصية مع كبار السن؛ من الجدات والعمات والخالات وعدد من السيدات اللائي اشتهرن بكثرة استعمال الأمثال في كلامهن، أُحادثهن وأُدَوِّن ما أسمعه من أمثال، وأسألهن عن المعنى وعن الموقف الذي يُستعمل فيه المثل.

لحظت أثناء تلك الفترة أن المرأة كثيرًا ما تلجأ للأمثال أثناء الحديث، لتدعيم وجهة نظرها وتقوية كلامها وتأكيده، وهي الأوفر حظًا في حفظ الأمثال وإعادة استخدامها لتجعل كلامها أكثر قبولاً وإقناعا. فأصبح المثل في كلامها بمثابة الحجة والدليل على صدق ما تذهب إليه وما تؤمن به من أفكار ومبادئ.

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على محورين هما:

الأول: الإطار النظري للدراسة؛ ويتضمن إلى جانب أهمية المثل وتعريفه وأمثلة من مؤلفات القدماء فيه، عناية الدراسات اللغوية الحديثة بالنشاط اللغوي في مظهره الحي والمتنامي من خلال اللغة التواصلية التداولية في مواقف الحياة اليومية لكل طبقات مستعملي اللغة على اختلاف مستوياتهم.

الثاني: الجانب (التطبيقي) المتمثل في دراسة عينة الأمثال الشعبية المختارة، ثم تصنيفها وتبويبها وفقًا للموضوع الذي تتناوله، ثم تحليل المكون الدلالي للمثل الشعبي وخصائصه الخطابية.

تعريف المثل:

عَرَّف الفارابي المثل بأنه: "ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء ، واستدروا به الممتع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[٦] "المَثَل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيَّ معنًى كان، وهو أعمُّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة"[٧]. ذكر الفيروز آبادي أن للمَثَل عدَّةَ معانٍ هي: الحُجّة والحديث والصِّفة في قوله: "والمَثَلُ محركة الحُجَّة، والحديث، والصفة"[٨] جاء في مجمع الأمثال تعريفات كثيرة للمثل أذكر منها:

- **قول المبرد: " المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه"**

٦- الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر ص٧٤.

٧ – الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني ص ٤٦٢.

٨ – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة: (م ث ل).

- **قول ابن السكيت: "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال يعمل عليه غيره" [٩]**
- **عرَّفه المرزوقي أنه: "جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتُنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباه من المعاني، ولذلك تُضرب، وإن جُهلت أسبابها التي خرجت عليها"[١٠]**

ومن تعريفات المحدثين: "المثل هو عبارة موجزة بليغة شائعة الاستعمال، يتوارثها الخلف عن السلف، تمتاز بالإيجاز وصحة المعنى وسهولة اللغة وجمال جرسها"[١١] ويمكن القول أن المثل هو: قول موجز يعبر عن نشاط لفظي مجهول النسبة والنشأة، معلوم المعنى والوظيفة سهل الحفظ والتذكر يعبر عن أحوال الناس وأنشطتهم اليومية، يتم استدعاؤه في موقف مشابه من خلال مقام يحيط به ويفسر معناه.

يؤدي المثل عدة وظائف للمجتمع منها:

الوظيفة اللغوية أو اللهجية، والوظيفة التربوية والأخلاقية، والوظيفة التعليمية، والوظيفة النفسية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة التواصلية، والوظيفة الحجاجية، وغيرها.

خصائص الأمثال وأهميتها:

وضعت العرب الأمثال لأسباب أنتجتها، ومناسبات اقتضتها، فصار المثل الذي يُضرب في أمر من الأمور كالعلامة التي يُعلَّم بها الشيء، وذلك لإيجازها وشدة اختصارها، وهذا الكلام لا ينطبق على أمثال الفصحى فحسب، وإنما يصح كذلك في أمثال العامية، التي أفرزتها حوادث وظروف ولإيجازها ومناسبتها أصبحت أيقونة لكل موقف مشابه. كذلك مما وصف به الزمخشري أمثال الفصحى قوله: "ثم هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة

---

٩ – الميداني: مجمع الأمثال الجزء الأول.

١٠ – السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٤٨٦/١.

١١ – إميل يعقوب: الأمثال الشعبية اللبنانية ص١٥.

حوارها وبلاغتها ....حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح"[١٢] ... وهذا ينطبق كذلك على الأمثال الشعبية، فهي خلاصة كلام العامة وحكمتها وبلاغتها. كما يتجلى في الأمثال صفة العقل والحكمة، لأن" الأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبه وثمرته"[١٣]

ترجع أهمية توظيف المثل واستلهامه في الخطاب إلى كونه بمثابة العرف الذي تعارفت عليه مجموعة من الناس باعتباره من الحجج والأدلة التي نقوي بها ما ارتاحت إليه ضمائرنا واستقر في أذهاننا من مواقف. أوضحت التعريفات العديدة للأمثال القيمة الإبلاغية للمثل ووظيفته في توضيح المعنى وتقريب صورته للأذهان وإزالة اللبس والإفهام وذلك من خلال التشبيه؛ سواء تشبيه المعقول بالمحسوس أو المحسوس بآخر أقرب، وقد أشار إلى ذلك ابن قيم الجوزية، فهو يرى أن الأمثال تقوم على تشبيه الشيء بآخر في حكمه، وتقرِّب المعقول من المحسوس، أو محسوس من آخر، واعتبار أحدهما بالآخر.[١٤]

يرى طه حسين أن الأمثال بطبيعتها أدب شعبي مضطرب متطور يصح أن يؤخذ مقياسًا لدرس اللغة، ومقياسًا لدرس الجملة القصيرة كيف تتكون، ومقياسًا بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني.[١٥] والأمثال الشعبية ليست بعيدة تمامًا عن الفصحى والفصاحة، فهي في كثير من الأحوال عبارة عن تغيير أو تحوير في قول فصيح، أو نسج على منواله واقتداء به في معناه ومغزاه.

كما أن المثل الشعبي نفسه لم يحتفظ ببنية لغوية موحدة عندما يتداول في عدد من البيئات واللهجات نتيجة لما تتعرض له البنية اللفظية للمثل من تحوير وإضافة وحذف بحسب المحيط الاجتماعي والثقافة المحلية للمجتمع الذي يُستعمل فيه، في

١٢ – الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب ص٢.

١٣ – ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٩١/١٠.

١٤ – ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم ص١٧٣ وما بعدها.

١٥ – طه حسين: في الأدب الجاهلي ص٣٣١.

حين أنه يحتفظ ببنية دلالية واحدة أو على الأقل متقاربة، على سبيل المثال هذا المثل "الفقير ما نرضو بيه والغني ما جاينا" والآخر في ذات المعنى لكن بعبارة مختلفة وهو: "أبو حمار ما نرضو بيه وأبو حصان ما جاينا" وكذلك الحال في مثل: "تاخد سيده ونكيده" والمثل الآخر "تاخد غيره وندهب سيره".

أدت منظمة اليونسكو دورًا مهمًّا في الحفاظ على التراث الشفاهي أيًّا كان نوعه، حيث اعتبرته واحدًا من محفزات التنمية.[١٦] كما أصبح التراث الشفاهي محط عناية واهتمام لكثير من العلوم منها؛ الأدب واللغة والتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم. "وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة. وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث"[١٧] وقد غلب إيجاز العبارة على الأمثال فصارت كالرمز "ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحًا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارًا"[١٨]

الأمثال من أكثر النصوص الشفاهية شيوعاً على ألسنة الناس، وأقواها تأثيرًا في النفوس، وأوضحها معنى، وأكثرها إيجازًا. وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في قوله: "واعلم أنَّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أنَّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها..." [١٩] وقد فرضت الأمثال حضورها الواضح ضمن التداول اليومي للخطاب في كل المجالات والموضوعات، وكثير منها " قد يصل من الروعة والدقة في إبراز المعنى

١٦ – نبيل جورج سلامة: التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته ص٨٢.

١٧– أبو هلال العسكري:جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،وعبد المجيد قطامش ص١٠.

١٨ – القلقشندي: صبح الأعشى ٢٩٥/١.

١٩ – الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٩٢–٩٣.

وتحديد نمط السلوك البشري إلى درجة راقية. وقد تضعف إلى درجة أنها لا يصدق عليها إطلاق الأمثال إلا تجاوزًا"[٢٠]

يعد المثل فعلا خطابيًّا تواصليًّا يستدعيه موقف معين يؤدي فيه رسالة تبليغية موجزة ومتوارثة تلخص الموقف بأكمله وتحث السامعين على الإيمان بفكرة معينة أو الاقتناع بمبدأ معين أو القيام بفعل معين. لذا فهو مؤثر في سلوك الناس وتصرفاتهم .ونظرًا لما تمتاز به الأمثال من الإيجاز، فإنها توفر على المتكلم جهدًا في التفكير والصياغة لما يريد قوله، تحقيقًا لمبدأ الاقتصاد اللغوي، وإصابة المعنى المقصود بأقل كلفة، إضافة إلى قيمتها الحجاجية باعتبارها دليلًا خارجيًّا؛ أي من خارج كلام المتكلم فيكون أقوى في التأثير والإقناع.

وعلم اللغة الحديث يولي جانبًا كبيرًا من اهتمامه باللغة الحية المتداولة على ألسنة الناس في مجالات الحياة اليومية؛ باعتبارها نشاطًا لغويًا للمتكلمين لا يتوقف أو يجمد عند حدود الفصحى، وليس ذلك للإعلاء من شأن العامية على حساب الفصحى، أو أن تحل محلها، وإنما بهدف دراستها والوقوف على منابعها الأساسية ومعرفة مصادرها وخصائص بنائها؛ فهي أمر قائم بالفعل ولا مجال لإنكاره أو التنصل منه.

انقسم كثير من الباحثين في نظرتهم للعامية والفصحى إلى فريقين:

الأول: متعصب للفصحى، يستهجن العامية ويراها عدوا منافسًا للفصحى ترغب في النيل منها وتطرح نفسها بديلا لها، كما يرى أنها من مظاهر الضعف ويدعو إلى مقاومتها وإحلال الفصحى مكانها في كل أشكال التواصل اللفظي في شئون الحياة اليومية. والآخر: يرى في الفصحى كل أشكال الجمود والتخلف والرجعية وعدم القدرة على مواكبة المظاهر الحديثة والمعاصرة للحياة.

وكلا الفريقين قد ابتعد عن المنهج العلمي الموضوعي في التعامل مع الأمر، الذي يأخذ في الاعتبار أن الفصحى هي المستوى الرسمي والعلمي للغة، الذي تمارس به العلوم والآداب والثقافة والكتابة عمومًا، والعامية منحدرة منها ومرتبطة بها

٢٠ – التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ص١٥٩.

تمارس بها العادات والتقاليد والأعراف الشعبية السائدة بين عامة أفراد المجتمع، فهما مستويان للغة واحدة، لا سبيل لإنكار أحدهما وإحلال الآخر محله، والعامية بألفاظها وأساليبها مظهر من مظاهر حياتنا اليومية وهي من صميم واقعنا ليست غريبة ولا أعجمية، وينبغي التعامل معها انطلاقًا من أن اللغة نشاط اجتماعي حي مرن ومتغير. كما أن الألفاظ العامية لم تأت من فراغ أو من العدم وإنما لابد لها من مصدر انحدرت منه؛ فهي إما عربية فصيحة أصابها التغيير والتحوير في أصواتها أو في معناها، أو منحدرة من إحدى اللهجات العربية القديمة التي لم تحفظها مصادر اللغة القديمة التي اعتنت بالفصحى أكثر من عنايتها باللهجات، وأحيانًا تكون من أصول لغات غير عربية حلت العربية محلها وانتصرت عليها وبقيت منها ألفاظ يمكن ردها إلى أصولها التي جاءت منها.

يمكن رد الألفاظ في العامية إلى الفصحى بشرط مراعاة الآتي:

١- إجازة كل ما يمكن إجازته.

٢- رد اللفظ إلى أقرب صوره في الفصحى، وليس مثل هذا الاتجاه مأمون العاقبة إلا إذا أخذناه بالرفق والتدرج.[٢١]

ومما قرره المجمع "أن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يُراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمات مستساغة، ولم يُعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال"[٢٢]

وجود مستويين للأداء اللغوي؛ الأول لغة الحياة اليومية أو الكلام والآخر لغة الكتابة أو اللغة الرسمية واقع في كل المجتمعات وفي كل اللغات وليس في العربية فحسب، والبون بين المستويين في العربية ليس شاسعًا على كل الأحوال، ومما يفيد في إثبات ذلك الاحتكام إلى النصوص العامية الشفاهية كالأمثال وغيرها وعرضها على الفصحى لبيان مدى الصلة بينهما. جاء في تعريف العامية أنها "هي اللسان الذي تستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم، والتفاهم فيما

٢١ – محمد أبو حديد: موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى ص٢٠٩.

٢٢ – نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى ص١٩٠.

بينهم، وهي تتأثر بالعوامل البيئية التي توجد فيها، وبعوامل الغزو الطارئة عليها، ومن ذلك اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية، ونتيجة لتحريف عامة الناس، وذلك بخروجهم على قوانين اللغة وأنظمتها، علمًا أنها انسلخت عن اللغة العربية الأم، واستمدت معظم ألفاظها وتعابيرها منها.[٢٣]

وقد فرَّق علماء اللغة المحدثون بين عدة مستويات من الاستعمال اللغوي تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية لأفراد المجتمع الواحد؛ فهناك اللغة الفصحى Standard language، واللهجة Dialect والرطانة المحلية، Patois أو استعمال الطبقات الدنيا في المجتمع، وهناك العامية Slang التي تُستعمل شفهيًّا في أحاديث الحياة اليومية، واختلاف لغة الكتابة عن لغة الكلام أمـــر واقع في كل العـــصور وفي كل اللغات. يرى عبد الرحمن صالح أن اللغة إذا صارت تُكتسب الملكة فيها بالتلقين، وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط، واستهان بما يتطلبه الخطاب اليومي من خفة واقتصاد في التعبير، وابتذال واسع للألفاظ، تقلصت رقعة استعمالها وصارت لغة أدبية محضة.[٢٤] ولم تعرف أشكال التواصل اللفظي بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة هذا التقلص في تداولهم للغة في شتى مناحي الحياة.

٢٣ – محمد عبد الله عطوات: اللغة الفصحى والعامية ص٧–٨.

٢٤ – عبد الرحمن الحاج صالح: اللغة العربية بين المشافهة والتحرير ص١١٨.

المبحث الثاني
الدراسة التطبيقية

موضوع الزواج والطلاق في الأمثال:

أدت الأمثال العامية دورًا اجتماعيًّا بارزًا في مختلف المناسبات الاجتماعية التي تبرز فيها العادات والتقاليد والأعراف، وتمتزج فيها الثقافات والتجارب ونتاج العقل الجمعي لأفراد المجتمع، وموضوع الزواج والطلاق وما يرتبط به من نصائح وخبرات احتل مكانة كبيرة في أمثالنا العامية لما يتطلبه من الحكمة التي تنطوي عليها الأمثال، وقد نبه الحسن اليوسي إلى ذلك في قوله: "فلا يخفى على ذي مَيْز ولا يشتبه على ذي لُب ما جعل الله تعالى في المثل من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناط به من الحاجة، فإن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، يُكْشَف المُعمّى عن اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حُسن موقع، وتقبله فضل قَبُول، وتطمئن به اطمئناناً، وبه يقع إقناع الخصم، وقطع تَشوُّف المعترض"[٢٥]

دمج المثل مع الخطاب تقنية خطابية تهدف إلى توجيه رسالة ذات مغزى للمتلقي، وهو من خلال تجاوبه مع هذه الرسالة يُمكِّن المتكلم من إحداث تغيير أو تعديل أو ميل لدى المتلقي تجاه ما يقدمه له من أطروحات وأفكار، وإذا كان من تعريفات الحجاج أنه "مظهر من مظاهر القوة الباطنية التي تتوسل بشتى السُبل للوصول بالتلقي إلى درجة التأثير والإقناع، بل قد تدفع الفرد والجماعات نحو تغيير السلوك أو إنجاز الفعل"[٢٦]

توظيف المثل في الخطاب نوع من الحجاج اللغوي الذي يوظف الاقتباس والتفاعل بين كلام المتكلم والمثل المقتبس الذي يمثل الحجة والدليل الداعم والمؤيد للكلام، ليصل بالمتلقي إلى الغاية المنشودة، وهي الإقناع والتأثير.

١- في النصح بالزواج والسعي فيه:

١- أُقْرصيها في رُكبِتْها اتْحَصْليها في جُمعتها.

---

٢٥ - الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم ص٣٤.

٢٦ - علي محمد علي سلمان: كتابه الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج ص٨٥.

٢- أخطُب لبنتك ولا تُخطبش لابنك.

٣- جَاي مِ الجبَل ما عاطي خَبَر. (دعاء للبنت أن ترزق بعريس دون توقع)

٤- ضِل راجل ولا ضِل حِيطة.

٥- عريس الغَفلة والباب بَلا قَفْلة.

٦- يا بخت من وَفَّقْ راسين في الحلال.

٢- في النصح بعدم التدخل في الزواج:

١- إمْشي في جَنازة ولا تِمْشي في جوازة.

٢- حَبيبك لا تْحاسْبِه ولا تْنَاسْبه.

٣- زواج الأقارب:

أ- في مدح زواج الأقارب:

١ - آخُد ابن عمي واتْغَطى بكُمي.

٢ - ابن العَم يشيل الهَم.

٣ - بِت العَم عُورة.

(في تفضيل الزواج من ابن العم ولو كان فقيرًا، فهو أكثر اعتناءً بها من غيره، يحمل همها، كما أن فيها تحفيز للزواج ببنت العم فهي ليست عوراء ولا معيبة)

ب-في ذم زواج الأقارب:

١- بَاركَ الله في الزَرْعَة القَرِيْبة والنِسْبَة البعِيدَة. (في الحث على الزواج من خارج نطاق الأسرة)

٢-خُد مِ الزَرايب ولا تَاخِد مِ القَرايب. (في التنفير من زواج الأقارب)

٤- في العنوسة:

أ- في مدح العنوسة والـتأني في الزواج:

١- خَلي الدَهَب في جْرارَه لَمَّا تَغَلى أَسْعاره.(الدهب يقصد به: البنت، الجرار: بيت أبيها)

٢- قَعْدة الخَزانة ولا جَوازة النَّدامَة. (الخزانة: بيت الأهل).

ب- في ذم العنوسة والحرص على الزواج:

١- اللي ما وَراها عَجُوزة دَايرة تْقَضِّي زمَانها بَايرة.(يحث على البحث للفتاة عن زوج ومساعدتها حتى لا تبور وتفقد فرص الزواج)

٢- البايرة مستنية السياق؟

(استنكار لمن بارت وهو من البوار والبقاء دون زواج والسؤال هنا سؤال استنكاري لمن تقدم بها العمر ولازالت تنتظر العريس، والسياق كلمة يُقصد بها الشخص الذي يرسله الخاطب في طلب يد العروس من أهلها نيابة عنه، حتى لا يتعرض للإحراج في حال رفض طلبه، والفرق بين الاستفهام في الفصحى وفي اللهجة: أن الاستفهام في الفصحى يعبر عنه بحروف وأسماء خاصة بالاستفهام في اللغة المكتوبة يؤدى بها أو بنبرة الصوت والتنغيم في اللغة المنطوقة، أما في اللهجة فمن النادر أن تستعمل فيه أدوات، والغالب أن يُؤدى بنبرة الصوت)

٣- جُوز مِن عُود أَخِير مِ القْعُود. (أقل الأزواج مكانة خير للفتاة من العنوسة)

٤- قَعَدوا البنات تِحْت الرِعْرِيعَة لا جَتْهم شَروة ولا بِيعة.

٥- مِنْ كُتْر خُطَّابها بارت مَسّى عليها الليل واحْتَارت.

٥- في المستوى الاجتماعي وعلاقته بالزواج:

١- اللي ما يَخِدني على حَمَار خَدِّي يَخِدني على عُلُو جَدِّي. (إن لم تطلب المرأة لجمالها تطلب لمكانة عائلتها)

٢- بِت الأَكَابِر غَالية لو كانت جَارية.

٣- بِفْلوسك بِت السُلطان عَروسك.

٤- خُد بِت الجيِّد لو بَارت.

٥- خُد الأَصِيلة ولو عَلى حَصيرة.

٦- خُدي الأَصيل لو ملفوف في حَصير.

٦- في الفقر وعلاقته بالزواج:

١- خُدُوهم فُقَرا يغْنِيكم الله.

٢- الفقِير ما نَرْضَو بِيه والغَني ما جَايْنا.

٣- أبو حمار ما نَرْضو بيه وأبو حصان ما جَاينا.

٤- يا واخِد القِرد على مالِه يروح المال ويَبْقَى القِرد عَلى حَالِه.

٧- في الشكل والمظهر وعلاقته بالزواج:

١- خُدي الجميل واتْمتِعي بيه ومن بيت أبوك وكْليه.

٢- خُدي الشَمْلول لو كان مَديون.

٨- في السن وعلاقته بالزواج:

١- خُدي العجوز يجَلْعُك ولا تاخْدي الصَبي يلَوْعُك.(يجَلْعُك (يدَلْعُك): من الدلال)

٢- مِن هَمّه خَد أُمَّه.

٩- في زواج المرأة أكثر من مرة:

١- خَدْت غيْره ونْسِيت سِيره.

٢- نَاخِد سِيده ونْكِيده.

٣- تَاكِل في خِيره وتُشْكُر في غيْره.

٤- نَاخِد غيره ونِدْهِب سيره.

٥- عَشِيقُك ما تَخْديه وطَليقُك ما تْرِديه.

١٠- في زواج الرجل بأكثر من زوجة:

١- جُوز لاتْنين يا قادر يا فاجر.

٢- جوز لاتْنين يا داير يا حاير.

٣- القَدِيمة تَحلى لو كَانت كَحلَة.(كَحلَة: أي سوداء اللون من الكُحْل)

٤- يا واخِد مِ الحَرِيم أَرْبَعة يا أبو بَفْتَة مْرَقَّعَة.(بَفْتَة: نوع من الملابس الخاصة بالرجال)

١١- في موقف الزوجة الأولى من الضرة:

١- اللي خِدِتِه القَرْعَة تاخْده أُم الشُعُور. (دلالة على فقر الزوج فإن لم تجد القرعة ما يدهن رأسها فكيف بمن لديها شعر؟ وهنا انتقال مجازي للدلالة على شدة الفقر)

٢- كُل يُوم أَفْرِش لُه فرْشِتي ويَاخِد قُوتِي يُوديه لِضُرِّتي. (قُوتِي: القوت ما يقتتات به الإنسان أو ما يأكله)

٣- جَنَازْتِه ولا جوَازْتِه. (والمعنى أن موته أهون عليها من زواجه بأخرى)

٤- نْشُوفَه في المُقْبُرة ولا نْشُوفَه مَع مَرَة.

١٢- في موقف الأبناء من زوجة الأب:

١- أُمَّه ساكْتِة ومَرْت أبُوه مِطَّيْنَة.

٢- خِدْمَة البِت لمَرْت أبُوها .

٣- قَالوا يا جُحَا مَرْت أَبُوك اتْحِبَّك. قال: يَبْقَى اتْجَنْت.

٤- يا مَرت أبُويا يا قُفَة الرِجْلِة، مِيته تْموتي ونَدْبَح العِجْلِة (الرِجْلِة نوع من النباتات البرية التي تنبت في الأرض)

١٣- في موقف الأبناء من زوج الأم:

١- الحَاجَة اللي ما تْهمَّك وَصِّي عَليها جوز أُمَّك.

٢- اللي يتْجوَّز أُمي انْقُوله يا عَمي.

١٤- في علاقة الزوج/ الزوجة بالحماة:

١- حَماتي تِتْمنى مَماتي.

٢- الحَمَى عَقْرب تَلدَغ وتُهْرُب.

٣- الحَمى عَمى.

٤- رَبِّي يا خَايبة للغَايب والغَايبة .

٥- لو كانت النِسِيبة حَبيبة كَانت الحَيَّة بَقَت طَبيبة.

٦- ماتزْعِلِيش يا ام الوَرَد مِسِير مَرْت الوَرَد تَبْقَى عَمَّة.

٧- الوِشْ وِشْ بِتى والقَـــفا قَـــفا مَرْت وِرِدِي.(يصاحب هذا المثل عادة شرح لقصة أسطورية وهي أن مرأة أرادت أن تضمن علاقة حب متبادل مع زوجة ابنها فقررت أن تزوجه ابنتها، التي هي أخته، وفعلت، لكن حيلتها لم تفلح، فإذا أقبلت عليها تذكـرت أنها ابنتها، وإذا أدبرت لم تر فيها إلا زوجة الابن فتغتابها)

٨- النِسيبَة مُصِيبَة/ نِسيبتِي مُصِيبتي.

١٥- فيما يترتب على علاقات المصاهرة والنسب:

١- أَهْل المرَة يْخُشُوا الدَرا وأهل الرَاجِل يُقْعُدوا فِ الحَاجِر.

٢- الخَال وَالِد.

٣- لَو السِّلْفَة اتْحِب السِّلفَة كان القَمْح يخدِّر خِلْفة .

٤- مَركَب الضَرَاير سَارَت ومَركَب السَلايف احْتَارت.

٥- الوَرَد مِن غير خَال زي الوَتَد جُوَّى النُخَّال.(الورد: تعني الولد في اللهجة، وقد أصابها تحريف صوتي عن طريق إبدال الراء باللام)

١٦- في الطلاق:

١- اللي اتْسِيب بيت جُوزها تِدِّلِق على بُوزها.

٢- بِيْعَة البنات مَرْجوعَة للمَمَات.
٣- تَنسى اللي خَلَقْها ولا تَنْسى اللي طَلَّقَها.
٤- جَوَّزت بِتي قُلت أَرْتاح مِن بَلاها جَاتني وارْبَعَة مِن وَراها.
٥- رِجوع البِت للأَسَاس أَثْقل مِن الرَصاص.
٦- العِزبَة ما تْربيش تُور يحْرِث.
٧- خَدَت سُوْقَها واتْلَوى عَرْقُوبها.
٨- سِت البَنات اتْسُوُقَت وجَات. (في الطلاق المبكر، وتسوقت: يقصد بها جهاز العروسة ومقتنياتها التي تزوجت بها)
٩- اللي مَا يَصْلَح تَرْكَه أَصْلَح. (إذا لم ينصلح حال الزوج فتركه والطلاق منه أفضل)

تكشف الأمثال السابقة عن كثير من العلاقات الدلالية، كما تضمنت توظيفًا لكثير من الرموز والأشياء من البيئة المحيطة، وهي عناصر واضحة الدلالة والمضمون، فهي تتمتع بحضور في أذهان المخاطبين، هذا الحضور يضمن حصول المعنى من أقرب طريق وبأقل جهد. إضافة إلى أن استحضار المثل في حد ذاته باعتباره كلامًا مقتبسًا، ليس من كلام المتكلم، ومن هذا التكامل والتفاعل النصي بين كلامه والمثل المتضمن فيه، يصبح الصوت صوتين، والمتكلم الواحد يصبح اثنين، مما يخدم أغراضه ومقاصده التداولية ويركز اهتمامها حول المتلقي، فيصبح المثل بمثابة الحجة والدليل الذي يؤكد الكلام ويقوي دلالته. لما يتمتع به من الذيوع والانتشار والقبول بين الناس على اختلاف ثقافاتهم.

نماذج من أنواع العلاقات الدلالية في الأمثال السابقة:

المقابلات الدلالية: يهدف البناء اللغوي للمثل إلى تكوين بناء دلالي وفكري موازي لما يحدث في الواقع من أحداث ووقائع، فهي تعبر عن موضوعات ورؤى اجتماعية متقابلة ومتناقضة بحسب شخصية المتكلم والسامع وظروف الموقف الذي انتجها، لذلك كانت المقابلة والمفارقات في بنائها اللغوي من أكثر العلاقات الدلالية وضوحًا لتحقق بذلك التوازن بين البناء اللغوي للمثل والبناء الاجتماعي للمجتمع الذي انتجه، من باب الضد يبرزه الضد، وبأضدادها تتضح الأشياء ومما جاء منه في الأمثال: (قريبة/بعيدة، جنازته/جوازته، شروة/بيعة، بت الأكابر/جارية، الفقير/الغني، العجوز/الصبي، يدلعك/ يلوعك، الحية/ الطبيبة، المرة/الراجل، الدرا/الحاجر، الوش/ القفا، القرعة/أم الشعور،.....) فالتضاد هنا يزيد اهتمام المتلقي وحماسه ويركزه حول المعنى المقصود، فيزداد وضوحًا واستقرارًا في ذهنه.

التكرار المعجمي: يؤدي التكرار قيمة دلالية كبرى من خلال الإلحاح على ذاكرة المتلقي وانعاشها تجاه العنصر المكرر فيحتل بؤرة اهتمامه وتركيزه ومن نماذج التكرار المعجمي مفردات صيغة (أخذ) بمستواها العامي مثل:

(آخد/ خد/ يخدني/ يخدني/ خد/ خد/ خدي/ خدوهم/ واخد/ خدي/ خدي/ خدي/ خد/ خدت/ ناخد/ ناخد/ واخد/ خدته/ تاخده/ ياخد/ خدت....

التكرار أداة من أدوات السبك المعجمى Lexical Cohesion وهو أحد الأساليب التى تستعمل من أجل الإلحاح على الارتباطات القائمة بين عناصر المحتوى أو بين تشكيلاته في إطار النص.(٢٧) أما وظيفته لدى المتلقي فإنه يعمل على إنعاش الذاكرة، مما يجعل القارئ نشطًا ومتفاعلاً تجاه الموضوع.

دلالة المزاوجة بين النفي والإثبات:

- **اخُطب....ولا تخطبش.**
- **أمْشي ....ولا تمشي.**
- **خُد .... ولا تاخد.**

---

(٢٧) د. إلهام أبو غزالة، على خليل أحمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٩١.

- قَعْدة .... ولا جوازة...
- ما يخِدني .... يخِدني.
- خُدي ... ولا تاخدي.
- تَنسى ... ولا تنسى.

هذه المزاوجة بين النفي والإثبات في المثل بين صورتين متقابلتين توجد حالة من الحوار الداخلي بين صوتين داخل النص؛ الأول يتبنى إثبات موقف والآخر يتبنى النفي للموقف المقابل ، فيتلاحم الموقفان في تقوية الدلالة وتأكيد الرسالة والمغزى في ذهن المتلقي.

دلالة تكرار ألفاظ العلاقات الاجتماعية:

من ألفاظ القرابة وعلاقات المصاهرة: بنتك/ ابنك/ ابن عمي/ بت العم/ القرايب/ أمي/ عمي/ حبيبك/ عشيقك/ طليقك/ ضرتي/حماتي/ مرت وردي/ الخال/ النسيبة/ عمة/ السلفة/ الضراير/ السلايف/ جوز أمك/ جوزها/..... وتكرار هذه الكلمات يتلاءم مع المجال الدلالي للأمثال، ذلك لأن الزواج والطلاق من موضوعات الحياة الاجتماعية للإنسان بعلاقاتها المتداخلة والمتشعبة ما بين أسرته الأولى التي تربى فيها وعائلته الأخرى التي انتمى إليها بسبب الزواج والانتقال إلى محيط اجتماعي آخر.

دور أفعال الكلام في الأمثال الشعبية:

يرجع ظهور مصطلح أفعال الكلام (Speech acts) في اللسانيات الحديثة من خلا كتاب (أوستين) How to do things with words ، وقد انطلق أوستين في هذا الكتاب من أن وحدة اللغة الأساسية هي أفعال الكلام، على اعتبار أن الأقوال والملفوظات اللغوية هي أفعال، متجاوزًا حد الوقوف عند حد الصدق والكذب، إلى الاهتمام بالسياق والمناسبة التي يتم فيها الفعل.[٢٨] وقد ذهب أوستين إلى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال هي:

١- فعل القول ٢- فعل متضمن في القول ٣- فعل ناتج عن القول.[٢٩]

---

٢٨ – الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة ص١٠٢.

٢٩ – محمود نحلة: آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر ص٦٧.

والنوع الثاني منها هو الفعل الإنجازي الحقيقي، وهو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها.[٣٠]

أما سيرل الذي طور هذه النظرية ونقحها فهو يرى بمشاركة (فاندرنكن) أن الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللغة، فالفعل الإنجازي هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال.[٣١] وقد بلورت هذه النظرية فكرتها في أن الناس عندما يتكلمون، فهم لا يهدفون إلى إنشاء أقوال وجمل نحوية فحسب، وإنما هم يقومون بأفعال إنجازية حقيقية مثل: تقديم الشكر أو الثناء أو الاعتذار أو الطلب والوعد وغيرها من الأفعال، فكل النشاطات اللفظية تسعى لتحقيق أفعال إنجازية وأهداف تأثيرية في المتلقي.

تكمن قوة الأمثال في قوة تأثيرها في المتلقي، وبرغم أن محتواها الدلالي يدور حول معاني النصح والتوجيه والوعظ والإرشاد أو التحذير والزجر والتنفير، وهي معاني يثقل على النفس تقبلها بسهولة، وكثيرا ما يعزف الإنسان عنها، فإن المثل استطاع أن يقدم للمتلقي كل هذه المعاني في صورة مقَـــنَّعَة تقبلها النفس وترغب فيها، وتلك هي القوة الحقيقية للمثل، وهي دور الوساطة بين طرفي الاتصال باعتباره الدليل والحجة المستعارة من خارج إطار الكلام المباشر من قبل المتكلم، وقد أدت أفعال الكلام دورا كبيرا في تحقيق هذا التأثير .

ومن نماذج الأفعال الإنجازية الخمسة التي ذكرها أوستين ونقحها سيرل[٣٢] في عينة البحث ما يلي:

١- أفعال تقريرية إخبارية مثل: (قعدوا البنات، اتسوقت وجات، تسيب بيت جوزها، تدلق على بوزها، الوش وش بتى، والقـــفا قـــفا مرت وردي، جاتني وأربعة من وراها، ياخد قوتي يوديه لضرتي،....) هذه النماذج من أفعال الكلام الإخبارية تذهب في دلالتها إلى مقاصد أخرى أبعد من الإخبار والتقرير، كالحسرة والألم والندم وغيرها "فلم يعد

٣٠ – مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص٥٦.

٣١ – محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب ص١٣٧.

٣٢ – فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش ص٦٢-٦٣.

الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسِل ، وإن عددناه واحدًا من مقاصده، فليس القصد الرئيس، إذ يختبئ وراءه مقصد آخر، اختار المرسِل الاستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، وهو إما الرفض أو التهكم، ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر"[٣٣]

٢- أفعال توجيهية (قائمة الأوامر): كأفعال الطلب والنداء والسؤال مثل:

- **تكرار أسلوب الأمر للحث والتوجيه والتشجيع: (أقرصيها، أخطب، إمشي، خد، ربي،....)**
- **تكرار أسلوب النهي للنصح والتحذير: (ولا تخطبش، ولا تمشي، ولا تاخد، ولا تاخدي، لا تحاسبه ولا تناسبه، ....)**

تكرار هذه الأساليب يبين الغاية التداولية للمثل وهي غاية النصح والإرشاد والتوجيه والإقناع، وقد رأت الدكتورة نبيلة إبراهيم أن المثل الشعبي يستعين بأسلوب التكرار علاوة على الوزن والإيقاع، وذلك لزيادة عنصر التأثير[٣٤] ولتحقيق هذه الغاية كان لابد من الإلحاح الذي يستلزم تكرار الأمر مرات عديدة، وبأساليب مختلفة بقصد التنويع والتغيير الذي يدفع الملل والسأم، مما يجعله حاضرا نشطًا في ذهن المتلقي، هذا الحضور سيؤدي في النهاية إلى الإذعان والتسليم من المتلقي تجاه هذه الطريقة في الإقناع.

- **تكرار أسلوب النداء وخروجه عن معناه المباشر لمعان تداولية مثل:**

(يا بخت، يا واخد، يا أبو بفتة، يا قادر، يا فاجر، يا جحا، يا مرت... ، يا قفة....

ولأن الأمثال العامية أحاديث شفوية، تتداول في مواقف حياتية، فإن للسياق دورًا مهمًا في فهم المعنى المقصود بالنداء من التنبيه لأهمية ما يأتي بعده من خطاب، ومن المعاني التي خرج لها أسلوب النداء: التشويق والإغراء بالأمر، أو التحذير منه، أو التخيير، أو الاستهزاء، وغيرها من المعاني التداولية التي يفسرها سياق الموقف الذي يدور فيه المثل. وكما قال الدكتور تمام حسان أنه "كلما كان وصف

---

٣٣ – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية ص٣٦٨.

٣٤ – نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي ص١٨١.

المقام أكثر تفصيلًا، كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحًا في النهاية"[٣٥] وقد أكد رواد الدرس اللغوي والبلاغي القديم؛ كالجاحظ، وعبد القاهر، وغيرهما، أهمية مطابقة الكلام لمقتضى الحال "ومن حق المعنى أن يكون الاسم له طبقًا وتلك الحال له وفقًا .... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[٣٦]

٣- أفعال تكليفية أو التزامية: ومن خلالها يلزم المتكلم نفسه بفعل شيء مثل: (آخد ابن عمي واتغطى بكمي، نقوله يا عمي، ناخد غيره، ندهب سيره، ناخد سيده، ونكيده،...) فكلام المتكلم هنا يؤسس به موقفًا يوجب عليه تنفيذ ما يتضمنه كلامه من التزام وتعهد بما ينطوي عليه هذا الالتزام من التحدي والرغبة في إثبات الذات.

٤- أفعال تصريحية أو تعبيرية تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم مثل: (قلت، ارتاح، تنسى، يبقى اتجنت، تتمنى مماتي، تحب السلفة،....)

٥- أفعال الممارسة أو اتخاذ القرار، وهي أفعال لها قوة إنجازية مثل: (جوزت، وفق راسين في الحلال، خدت غيره، نسيت سيره، ندبح العجلة، جنازته ولا جوازته،....) وهي أفعال لها من القوة الإنجازية ما يتمثل في أنها تقر واقعًا جديدًا، لم يكن موجودًا ولا متوقعًا من قبل.

التوظيف الدلالي لعناصر ومكونات البيئة المحيطة:

نظرًا لأن المجال الدلالي الذي تعبر عنه هذه الأمثال وهو(الزواج والطلاق) من المجالات الاجتماعية الخاصة بالإنسان، فقد تم توظيف كثير من عناصر البيئة المحيطة به بما فيها العنصر البشري نفسه وما يشمله من علاقات وقرابات وصفات وغيرها، وكذلك العنصر الحيواني والمادي والزمان والمكان، ...إلخ

فمن توظيف العنصر البشري:

- جوارح الإنسان: ركبتها/ راسين/ بوزها/ عرقبوها/الوش/ القفا.....
- صفات الإنسان: عورة/ جميل/ حمار خدي/ كحلة/ قرعة/ أم الشعور/ شملول/.....

---

٣٥ – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٤٦.

٣٦ – الجاحظ: الرسائل ٩٣/٢.

- **المكانة الاجتماعية: علو جدي/الأكابر/ جارية/ السلطان/الجيد/ الأصيلة/....**
- **المعاملات: تغلى/أسعاره/ شروة/ بيعة/ تحاسبه/ بفلوسك/ مديون/....**

ومن توظيف عناصر البيئة المحيطة:

- **المكان: الجبل/ حيطة/ الباب/ الزرايب/ الخزانة/ الرعريعة/ بيت/ الحاجر/ زرعة/.....**
- **الزمان: جُمْعتها/ زمانها/ مَسّى/ الليل/مِسِير/ للممات/ الغفلة/ ميته/ كل يوم/.....**
- **الحيوان والحشرات: حمار/ حصان/ قرد/العِجلة/ تور/ الحية/ العقرب.....**

وإذا سلمنا بأن اللغة تُدرس باعتبارها موضوعًا مستقلًا وذهبنا مع (دوسوسير) إلى الفصل المطلق بين اللسانيات التي تهتم باللغة في باطنها وتلك التي تهتم بما هو خارج عنها، فإننا نحصر أنفسنا في البحث عن قوة الكلمات وسلطتها داخل الكلمات ذاتها، أي بالضبط حيث لا وجود لتلك القوة ولا مكان لتلك السلطة.[٣٧]

فكل مكتسبات الكلمة من قوة وتأثير مستمدة من الموقف الذي يغلفها ويحيط بها، ومن مقدار توافقها مع كل ما يحيط بها من الظروف والملابسات التي تكتنف اختيارها ودمجها في الخطاب، ومع تلك التي تكتنف تلقيها وتأويل مقاصدها، تلك هي البيئة التي تتمثل في السياق أو الموقف الذي تُستعمل فيه، والذي تتولد عنه ما تمتلكه الكلمات من سلطة. وقد أكد ابن خلدون أن لكل معنى أحوال تخصه، فيجب أن تُعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته.[٣٨] ....

وعن تكثيف المعنى واختزال البنية اللفظية للمثل فقد أشار العسكري إلى مبدأ الاقتصاد اللغوي والإيجاز المتحقق من توظيف المثل في الخطاب فيقول: "ولما عرفت العرب الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوا في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجَلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم من كثير عنايتها وجسيم عائداتها، ومن عجائبها أنها مع إعجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ الموكل بما راع من اللفظ وندر من

---

٣٧ – بيير بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي ص٦٣–٦٤.

٣٨ – ابن خلدون: المقدمة ص ٣٤٥.

المعنى"[٣٩] وهذه واحدة من الوظائف التداولية للمثل، التي تلبي أغراض التواصل وتيسرها على المتكلم والمتلقي لإيجازه وسهولة ألفاظه وتداولها وسرعة استدعائه في الموقف الملائم له وجودة التلقي له مما جعل له تأثيرا عقليّا ونفسيًّا كبيرا في نفس المتلقي لإصابة المعنى المقصود من أقصر طريق.

"وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة، ...."[٤٠] وهذه قيمة أخرى للمثل وهي قدرته على الاستمالة والإقناع والتأثير في النفس والعقل.

---

٣٩ – أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش ص ١٥.

٤٠ – الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٤٧.

الخاتمة:

- **تميزت الأمثال الشعبية التي ارتبطت بموضوع (الزواج والطلاق) بالتنوع والاختلاف الذي يصل حد التناقض؛ في الوقت الذي نجد فيه كثيرًا من الأمثال التي تمجد الزواج وتؤكد أهميته وتدفع الناس للتمسك به والحرص عليه خاصة في حق المرأة، نجد أمثالًا أخرى تنفِّر منه وتحذر من عواقبه، نجد كذلك من الأمثال ما يرغب الناس في زواج الأقارب موضحًا مزاياه، ونجد منها ما يرهِّب منه وينفر من حدوثه، أمثال تمتدح تأخر سن الزواج بالنسبة للبنت وتفضله على التسرع في زواج غير مأمون العواقب، وأخرى تستهجن ذلك وتمتدح نقيضه، وهكذا.**
- **هذا التناقض في المحتوى الدلالي للأمثال يعكس التباين في المواقف والسياقات والبيئات والأزمان التي أنتجت هذه النصوص وتداولتها، كما يعكس تباينًا في الآراء والثقافات حيال هذا الأمر بحسب المستويات والطبقات والشرائح الاجتماعية. وهذا من وظائف اللغة التي تؤكد قيمتها التداولية على اختلاف المواقف والمناسبات.**
- **الأمثال التي ترغب في الأمر تعرض للجوانب الإيجابية فيه، والأخرى تعرض للجوانب السلبية، فموضوعات الحياة الاجتماعية تتجاذبها غالبًا وجهتا نظر تتصارعان حولها بين الترغيب في الأمر والترهيب منه بحسب ما يقتضي الموقف وتتطلب الظروف.**
- **تعيد الأمثال التي ترد في كلامنا استدعاء الخبرات السابقة، وتوظفها لتفسير المواقف الحالية، على سبيل العظة والاعتبار والاستعانة بتجارب السابقين وحكمتهم، فالمتكلم على وعي بما يملكه القديم من سلطة ومكانة في النفوس.**
- **الأمثال وسيلة تعبير بليغة وقوية لمن لا يملك القدرة على التأثير والإقناع بنفسه من خلال عن المعنى الذي يريده، فيتوارى خلف المثل مستعينًا به في مُحَاجَّة المتلقي وإقناعه بما لم يتمكن هو من إنجازه بملفوظه الخاص.**
- **يتمتع المثل بأهمية كبيرة وقدرة عالية في تحسين الموقف الاتصالي وزيادة التفاعل بين طرفيه.**
- **تكمن أهمية دراسة نصوص العامية الشفاهية في أن نتائجها يمكن أن توظف في سبيل تضييق الفجوة بين العامية والفصحى، فالألفاظ التي تبدو لنا عامية كثير منها فصيحة الأصل، أصابها الابتذال والتحريف والتحوير في الأصوات أو الصيغة.**

المصادر والمراجع

١- أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي: صبح الأعشى (دار الكتب المصرية- القاهرة،١٠٢٢م)

٢- أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري (الميداني): مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة،١٩٧٩م)

٣- إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٩م ط٢)

٤- إميل بديع يعقوب: الأمثال الشعبية اللبنانية (جروس برس- سلسلة التراث الشعبي اللبناني، ١٩٨٧م)

٥- بيير بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي (دار توبقال- الدار البيضاء)

٦- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها (دار الثقافة-الدار البيضاء، ١٩٩٤م)

٧- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري- ١٩٩٠م)

٨- حسن بن محمد (أبو هلال العسكري): جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، و عبد المجيد قطامش (المؤسسة العربية الحديثة- القاهرة)

٩- الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر(دار التقافة- الدار البيضاء)

١٠- خير الدين الزركلي: الأعلام (دار العلم للملايين- بيروت،٢٠٠٢م ط١٥)

١١- الراغب الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني (مصطفى البابي الحلبي- القاهرة،١٩٦١م)

١٢- الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة (دار الطليعة- بيروت، ٢٠٠٥م)

١٣- طه حسين: في الأدب الجاهلي (دار المعارف – مصر، ١٩٦٩م)

١٤- عبد الرحمن بن أبي بكر(جلال الدين السيوطي): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت،١٩٨٦م)

١٥- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين (دار العلم للملايين- بيروت،١٩٩٣م ط٣)
١٦- عبد الرحمن الحاج صالح: اللغة العربية بين المشافهة والتحرير (مجلة مجمع اللغة المصري- القاهرة- العدد:١٩٩٠،٦٦م)
١٧- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة (دار الشعب-القاهرة، د. ت)
١٨- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: أسرار البلاغة (دار المعرفة ، بيروت)
١٩- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية (دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت،٢٠٠٤م)
٢٠- علي بن محمد أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين(دار الكتب العلمية- بيروت،١٩٨٧م)
٢١- علي محمد علي سلمان: كتابه الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجًا) (المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠١٠م)
٢٢- عمرو بن بحر (أبو عثمان الجاحظ): البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية- بيروت، د. ت)
٢٣- عمرو بن بحر (أبو عثمان الجاحظ): الرسائل، تحقيق: عبد السلام هارون (مكتبة الخانجي- القاهرة، د. ت)
٢٤- عمرو بن بحر (أبو عثمان الجاحظ): البخلاء، تحقيق: طه الحاجري (دار المعارف)
٢٥- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش (مركز الإنماء القومي، د. ت)
٢٦- محمد أبو حديد: موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى (مجلة مجمع اللغة العربية المصري-القاهرة-العدد ٧، ١٩٥٣م)
٢٧- محمد أبو النصر الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر(مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م)

٢٨- محمد العبد: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب (مجلة فصول- العدد٦٥، خريف ٢٠٠٤م)
٢٩- محمد عبد الله عطوات: اللغة الفصحى والعامية (دار النهضة العربية- بيروت،٢٠٠٣م)
٣٠- محمد (ابن قيم الجوزية): إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (دار الكتب العلمية- بيروت،١٩٩١م)
٣١- محمد (ابن قيم الجوزية): الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد الخطيب (دار المعرفة – بيروت، ١٩٨١م)
٣٢- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (مؤسسة الرسالة- بيروت،٢٠٠٥م)
٣٣- محمود بن عمر (جار الله أبو القاسم الزمخشري): المستقصى في أمثال العرب(ط وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمور الثقافية للحكومة المالية الهندية، ١٩٦٢م)
٣٤- محمود نحلة: آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر (دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية،٢٠٠٦م)
٣٥- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية (دار التنوير للنشر والتوزيع حسين داي- الجزائر،٢٠٠٨م)
٣٦- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي (دار غريب-القاهرة، ١٩٨١م)
٣٧- نبيل جورج سلامة: التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته
٣٨- نصر الله بن محمد (ضياء الدين ابن الأثير): المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: د. أحمد الحوفى، د. بدوي طبانة (دار نهضة مصر- القاهرة ، د. ت)
٣٩- نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى (دار الفكر- عمان، د.ت)

==========